

(٩٨) سورة البينة

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مدنية آياتها ثمان ، نزلت بعد سورة الطلاق تعالج القضايا الآتية :

أولاً : موقف أهل الكتاب من دعوة النبي ﷺ .

ثانياً : موضوع إخلاص العبادة لله جل وعلا .

ثالثاً : مصير كل من السعداء والأشقياء يوم القيامة .

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن اليهود والنصارى وموقفهم من دعوة الرسول ﷺ ثم تحدثت عن عنصر هام من عناصر الإيمان هو إخلاص العبادة لله كما تحدثت عن مصير أهل الإجرام وهم "شر البرية" من كفرة أهل الكتاب والمشركين وخلودهم فى النار، وعن مصير المؤمنين أصحاب المنازل العالية السامية وخلودهم فى جنات النعيم وقد سميت بسورة البينة لأنها أوضحت وبينت أن المشركين لن يتراجعوا عن شركهم وكفرهم حتى تأتيمهم الحججة الساطعة وعندما جاءهم الرسول ﷺ تفرقوا إلى فريقين "مؤمنين وكافرين".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۗ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۚ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۗ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۗ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۗ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ خَرَّاهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَسَنَاتُ عَدَنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِنَ زُجْرُهُ ۗ ﴾

معانى المفردات:

تأتيمهم البينة: الحججة الواضحة

منفكين: مزايدين ما كانوا عليه

فيها كتب: أحكام مكتوبة قيمة: مستقيمة عادلة

حنفاء: مائلين عن الباطل إلى الإسلام

دين القيمة: الملة المستقيمة أو الكتب القيمة

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿لَرَيْبِكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْيَبِئَةُ﴾ أى لم يكن أهل الكفر والجاحود، الذين كفروا بالله ورسوله من اليهود والنصارى من أهل الكتاب ومن المشركين عبدة الأوثان منفصلين ومتهين عما هم عليه من الكفر حتى تأتيتهم الحجة الواضحة^(١) وهى بعثة النبي محمد ﷺ ولهذا فسرها بقوله ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ أى تقرأ عليهم صحفا مطهرة عن الباطل عن ظهر قلب لأن النبي ﷺ أمى لا يقرأ ولا يكتب قال القرطبي: أى يقرأ ما تتضمن الصحف من المكتوب يتلوها عن ظهر قلبه لا عن كتاب^(٢) وقال ابن عباس "مطهرة" عن الباطل من الزور والشك والنفاق والضلالة وقال قتادة مطهرة عن الباطل^(٣) ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ أى فيها أحكام قيمة لا عوج فيها تبين الحق من الباطل قال الصاوى: المراد بالصحف القراطيس التى يكتب فيها القرآن والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها وإنما قال فيها "كتب قيمة" لأن القرآن جمع ثمرة كتب الله المتقدمة^(٤) ثم ذكر الله تعالى من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْيَبِئَةُ﴾ أى وما اختلف اليهود والنصارى فى شأن محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءهم الحجة الواضحة الدالة على صدق رسالته، أنه الرسول الموعود به فى كتبهم قال أبو السعود: والآية مسوقة لغاية التشنيع على أهل الكتاب خاصة، وتغليظ جنايتهم ببيان أن تفرقهم لم يكن إلا بعد وضوح الحق^(٥) وقال فى التسهيل: أى وما اختلفوا فى نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق وإنما خص أهل الكتاب هنا بالذكر لأنهم كانوا يعلمون

(١) لم تذكر السورة الكريمة أنهم منفكون عن ماذا؟ لكنه معلوم إذ المراد هو الكفر والضلالة التى كانوا عليها

صفوة التفسير ص ١٧٥٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/١٤٢.

(٣) تفسير المرجع السابق.

(٤) تفسير الصاوى ٤/٣٤٢.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢١٢.

صحة نبوته بما يجدون في كتبهم من ذكره^(١) ﴿ وَمَا أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾
 أى والحال أنهم ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بأن يعبدوا الله وحده مخلصين العبادة لله
 جل وعلا ولكنهم خرفوا وبدلوا "حنفاء" أى مائلين عن الأديان كلها إلى دين
 الإسلام، مستقيمين على دين إبراهيم عليه السلام دين الحنيفية السمحة الذى جاء به
 خاتم المرسلين ﴿ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ أى وأمروا أن يودوا الصلاة على
 الوجه الأكمل، فى أوقاتها بشروطها وخشوعها وآدابها ويعطوا الزكاة لمستحقها عن
 طيب نفس ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ وذلك الدين المذكور من العبادة والإخلاص وإقام
 الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الملة السمحة المستقيمة — دين الإسلام — فلماذا لا
 يدخلون فيه؟ ثم ذكر بعد ذلك حال كل من الأبرار والأشرار فى دار الجزاء والقرار
 فقال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾
 أى إن الذين كذبوا بالقرآن ونبوة محمد ﷺ من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان هؤلاء
 جميعهم يوم القيامة فى نار جهنم ما كثين فيها أبدا لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ أُولَئِكَ
 هُمُ شُرَآئِرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ أى أولئك هم شر الخلق على الإطلاق قال الإمام الفخر فإن قيل لم ذكر
 "كفروا" بلفظ الفعل، و "المشركين" باسم الفاعل، فالجواب هنا على أن أهل الكتاب
 ما كانوا كافرين من أول الأمر لأنهم كانوا مصدقين بالتوراة والإنجيل ومقرين بمبعث
 محمد ﷺ ثم إنهم كفروا بعد مبعثه بخلاف المشركين فإنهم ولدوا على عبادة الأوثان^(٢)
 وقوله ﴿ أُولَئِكَ هُمُ شُرَآئِرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ لإفادة الحصر أى شر من السراق لأنهم سرقوا من كتاب
 الله صفة محمد ﷺ وشر من قطاع الطرق كذلك لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق^(٣)
 ثم ذكر بعد ذلك مقر السعداء فقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أى المؤمنين
 الذين جمعوا من الإيمان وصالح الأعمال ﴿ أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ أى هم خير الخليقة التى
 خلقها الله عز وجل ويراها ﴿ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أى
 ثوابهم فى الآخرة على ما قدموا من الإيمان والعمل الصالح جنات إقامة دائمة يجرى من
 تحت قصورها أنهار الجنة ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أى ما كثين فيها أبدا لا يموتون ولا

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢١٢/٤.

(٢) الضمير الكبير للرازي ٤٩/٣١.

(٣) صفة التفاسير للأستاذ محمد على الصابوني ص ١٧٥٠.

يخرجون منها وهم في نعيم دائم لا ينقطع ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ أى رضى الله عنهم بما أعطاهم من الخيرات والكرامات ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ ﴾ أى ذلك الجزاء والثواب الحسن لمن خاف الله واتقاه وانتهى عن معصيته.

الإعراب:

<p>لم حرف نفي وجزم وقلب يكن مضارع مجزوم علامة جزمه السكون، الذين اسم موصول مبنى فى محل رفع اسم يكن، كفروا فعل ماضى والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، من أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والكتاب مضاف إليه والمشركين معطوف منصوب بالياء منفكين خبر يكن منصوب، حتى حرف غاية وجر، تأتيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والهاء فى محل نصب مفعول به، اليينة فاعل مرفوع.</p>	<p>لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْيَبِيئَةُ</p>
<p>رسول بدل من اليينة. من جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسول وجملة يتلو صفة ثانية صحفا مفعول به منصوب، مطهرة صفة لصحف منصوبة بالفتحة الظاهرة.</p>	<p>رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً</p>
<p>فيها جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم وكتب مبتدأ مؤخر مرفوع قيمة نعت مرفوع لكتب والجملة صفة ثلاثة لصحف.</p>	<p>فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ</p>
<p>الواو استئنافية، ما نافية، تفرق فعل ماضى، الذين اسم موصول فى محل رفع فاعل، أوتوا فعل ماضى مبنى والواو نائب فاعل والجملة صلة الموصول، الكتاب مفعول به ثان منصوب، إلا أداة استثناء تفيد الحصر من بعد جار ومجرور متعلقان بتفرق، ما مصدرية جاءتهم فعل ماضى مبنى والضمير فى محل نصب مفعول به واليينة فاعل مؤخر مرفوع، والجملة المصدرية وما فى حيزها فى محل جر بالإضافة للظرف "بعد".</p>	<p>وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْيَبِيئَةُ</p>

<p>الواو حالية، ما نافية أمروا فعل ماض مبنى للمجهول والواو نائب فاعل فى محل رفع إلا أداة استثناء للحصر ليعبدوا مضارع منصوب بعد لام التعليل والواو فاعل، الله لفظ الجلالة منصوب على التعظيم، مخلصين حال منصوب بالياء له جار ومجرور متعلقان بمخلصين، الدين مفعول به لاسم الفاعل مخلصين، حنفاء حال ثانية.</p>	<p>وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ</p>
<p>الواو عاطفة، يقيموا مضارع منصوب معطوف على ليعبدوا والواو فاعل الصلاة مفعول به ويؤتوا الزكاة عطف على ما سبق وبنفس الإعراب.</p>	<p>وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ</p>
<p>الواو عاطفة أو حالية ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ دين خبر مرفوع، القيمة مضاف إليه مجرور.</p>	<p>وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ</p>
<p>إن حرف توكيد ونصب، الذين اسم موصول فى محل نصب اسم إن، كفروا فعل ماض والواو فاعل والجملة صلة الموصول، من أهل الكتاب جار ومجرور والكتاب مضاف إليه والمشركون معطوف على أهل الكتاب فى محل نصب حال فى نار جهنم فى محل رفع خبر أن، خالد بن خالد مفعول من الضمير المستكن فى الخبر، فيها جار ومجرور متعلقان بخالد بن خالد اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، هم ضمير فى محل رفع مبتدأ ثان أو ضمير فصل، شر خبر مرفوع، البرية مضاف إليه مجرور والجملة من المبتدأ الثانى وخبره فى محل رفع خبر المبتدأ أولئك.</p>	<p>إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ</p>
<p>الآية مماثلة لما قبلها فى الإعراب تماما.</p>	<p>إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ</p>

<p>جزاؤهم مبتدأ مرفوع والضمير فى محل جر بالإضافة، عند ظرف متعلق بمحذوف حال وربهم مضاف إليه مجرور، جنات خبر مرفوع بالضممة عدن مضاف إليه مجرور وجملة تجرى من تحتها الأنهار نعت لجنات خالدين حال من عامل محذوف تقديره دخولها، فيها جار ومجرور متعلقان بخالدين، أبدا ظرف زمان منصوب وجملة "رضى الله عنهم ورضوا عنه" يجوز أن تكون دعائية لا محل لها ويجوز أن تكون خبرا ثانيا ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، لمن جار ومجرور فى محل رفع خبر وجملة خشى ربه صلة الموصول لا محل لها أيضا.</p>	<p>جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ</p>
---	--

من ألوان البلاغة

اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الاستعارة التصريحية فى قوله تعالى ﴿ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴾ فلفظة مطهرة فيها استعارة حيث تنزه الصحف عن الباطل بطهارتها عن الأنجاس.
- الطباق بين "خير البرية" و "شر البرية".
- الإجمال بعد التفصيل فى قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْيَقِينَةُ ﴾ ثم فصلها بقوله ﴿ رَسُولٌ مِّنْ أَلَيْهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴾.
- المقابلة بين نعيم الأبرار وعذاب الفجار فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

